اجتهادات
تراتيل وطنية

أفضل وأصدق ما وُصف به شعره أنه تراتيل وطنية تُعبِّر عن جوهر معنى عشق الوطن. إنه شاعر الوطنية الفلسطينية والعروبة إبراهيم طوقان، الذى تُحيى جمعيات وروابط ثقافية فلسطينية عدة ذكرى رحيله الثمانين التى تحل اليوم.

دشَّن طوقان مرحلة مهمة فى الإنشاد الوطنى، واتخذ من فلسطين محرابًا بدا كأنه يتعبد فيه بقصائده التى يشعر قارئها بأنها تراتيل شعرية فى حب الوطن. والترتيل هو التحسين والتطييب والتناسق فى كل شىء. ولذلك نقول رَتَّل القرآن الكريم، أى أحسن تلاوته. كما تُسَّمى الأنشودة المُرَّتلة فى صلوات المسيحيين ترتيلة. ويُعتقد أن الترتيل كان له أصل فى فترة إخناتون فى مصر القديمة أيضًا0

دخل طوقان تاريخ فلسطين والعروبة، وترك أعمالاً من النوع الذى يُكتب له الخلود، برغم أنه لم يعش سوى نحو 36 عامًا، إذ رحل فى شبابه بسبب أمراض أُصيب بها فى الصِغر. يعرف كُثُر فى العالم العربى قصيدته البالغة التأثير «موطنى»، التى صارت نشيدًا وطنيًا للعراق منذ سنوات، ولاتزال تُدرس فى غير قليل من المدارس العربية: (موطنى، موطنى, الجلال والجمال والسناء والبهاء/فى رباك، فى رباك/والحياة والنجاة والهناء والرجاء/فى هواك، فى هواك). هكذا تبدأ القصيدة وصولاً إلى ختامها: (يا هناك فى عُلاك/قاهرًا عداك/موطنى، موطنى).

ومن قصائده الوطنية، التى ذاع صيتها أيضًا، قصيدة ياشهيد الوطن التى شاركه فى كتابتها محمود أبو الوفا عن الكفاح لتحرير الجزائر، وقصيدة وطنى أنت لى، التى يشعر من يقرأها، أو يسمعها، أنها تعبر عن حبه لوطنه: (وطنى إننى إن تسلم سالم/وبك العز لى والهنا).

ولهذا، من الطبيعى أن يأتى طوقان فى صدارة عظماء فلسطين، وأن يوصف بأنه (شاعر سبق الزمان وجمع العرب فى شعره)، فى أغنية (احكى لى ياجدى) التى تألق فيها الفنان الكبير وديع الصافى مع الطفلة الفلسطينية ابنة مخيم برج البراجنة فى لبنان لارا زمزم، حيث طلبت منه أن يحكى لها عن (اللى زرعوا فينا حب الأرض)، فكان طوقان أول هؤلاء الذين أسماهم عظماء فلسطين، ومعه غسان كنفانى وناجى العلى ومحمود درويش وإدوارد سعيد وسميح القاسم وغيرهم.